



تدخل عامك الرابع في سجنك، وتدخل العصافير عامها الرابع للسقوط، ولا وقت في الوقت، لا وقت للقفزة كي تختار لحظة انفجارها، ولا وقت لتلك الطفلة كي تكمل تمشيط شعر دميها الطويل.

لا ورد يكفي لكل الشواهد التي نمت فوق حدائق البيوت يا ناصر، لا ورد يكفي كي يرقص الشهداء جيداً قبل أن ندفنهم في الأغنية ونمضي راحلين.

في عامك الرابع لاعتقالك، صار لنا خيام تملأ قصائدنا بالهاربين، وصور مالحة في جيوب الغرقى، وشهقات أطفال تملأ الأصداف بلؤلؤها، وشرفات تهوي على ظلها، وقصائد تبحث عنك.

لا أدري يا ناصر بما سأخبرك حين تخرج، وكيف سأحمل لك كل الغزلات الميته في تلك البراري، وإلى أية جهة سوف أدير هذا القلب

كان علينا يا ناصر أن لا نصدق الأغاني، كان علينا أن نحب أقل، وأن نعرف أننا لم نخلق للطيران، وأننا لا نستحق أصابع الأطفال في مدارس درعا، كان علينا أن نجفف دمننا فينا، أن نقدده، أن نعلقه كالباقياء على زوايا الروح، كي يسري بنا لاحقاً بلا لون.

حين يعتقل الشاعر هكذا يا ناصر تسقط السماء في حفرة من الأرض ويهال عليها تراب القلب كي يتكلم موتها فيها، ليتنا يا ناصر لم نستجر بالشعر، ولا بأصواتنا في الساحات، ليتنا لم نكمل موتنا فيه كي يكمل انتحاره فينا

أربع سنوات يا ناصر، زادت فيها الصور المعلقة على جدراننا لتسندها من الانهيار، وتركتنا معلقين على زاويتها، ومربوطين بشرائط سوداء.

أربع سنوات، صارت الأمهات تعد لأسمائهم العشاء، وكل ليلة تقص على الصور الحكايا كي يناموا في قبورهم سالمين. لن تجد البيت إذا خرجت يا ناصر، لن تجد الطرق التي حملت أشجارها ورحلت، لن تجد ظلالهم على القلوب.

أربع سنوات، متنا فيها كثيراً يا ناصر، متنا أكثر من كل ما وعدنا به الله من موت، شنقنا من حبل سرتنا، ومن شعر



أحلامنا الطويل. الرصاصات الثلاث اللواتي ثقبن ظل أخي، كبرت أربع سنوات، وحملت شهقته الأخيرة ووزعتها على كل العشيقات، وعلى البرية التي ستبقى تسيل من قصائدك، والتي تعرف فقط أن تنتظر هناك في أحراش المعاني، وفوق عشب العبارات الطري والتي تربي معك الحياة، الحياة التي تموت بجانبك الآن تحت التعذيب.

هناك حيث أنت لم تزل تتوهج، وكلما عذوبك أكثر كلما صرت زيتا في قنديل عتيق.

هناك حيث أنت، حي كروح كانت تبحث دائماً عن الشعر فيها، عن حررتها فيه، وكانت دائماً سجينه هذا البحث، حزين كظل يبحث عن قامته، وكقامة تشر ظلها في كل اتجاهات العواطف.

حر كصوت، شديد الضعف وشديد القوة، شفاف كياسمين يחדش الروح بأظافره البيضاء الحادة

مبلل كشاعر من ماء، كنه عصي على التوقف.

متفرد كزهرة بحرية مالحة.

هناك في نبوءة البراءة الأولى التي كنا نكتشفها كلما قرأنك، وفي تمرد الوعول على دهشتنا بها، وفي جناحك العصيين على الانحناء، وهناك حيث تجدك قصائدك، لم تزل السماء تحلم بسماوات لا تعرفها، ولم تزل الأرض تحتفي بزلزل دمك.

هناك حيث نرحل، والطريق تحيك لنا آثار أقدامنا، كي لا تجف.

وحيث المطر لم يزل يسقي عيون الميتين وعشب القبور.

هناك، مهما تأخرت، سننتظرك.

الكاتب: [ميسون شقير](#)